آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة الثامنة عشرة، العدد الثاني، الخريف والشتاء ١٤٣٦-١٤٣٧ هـ .ق، ١١٥-١٤٣

ملامح المقاومة في أشعار سعدي يوسف وسلمان هراتي

دراسة مقارنة

معصومه نعمتي قزويني*

زهرا حكيمزاده**

الملخص

شهدت كلٌ من إيران والعراق أحداثاً سياسية مختلفة على مدى التاريخ، ومن أهمّ هذه الأحداث المعاصرة هي الحرب في البلدين. والصراع المتمثّل بظاهرة الحرب المشؤومة بين الشعبين كان السبب في تشكيل نهج مماثل تقريباً في حضارة البلدين. وإحدى هذه المناهج هي تشكيل ثقافة المقاومة، والتي يمكن ملاحظتها في آداب الشعبين. الدراسة المقارنة الوصفية لقصائد شاعرين من إيران والعراق، أي سلمان هراتي (١٩٥٩-١٩٨٦م) وسعدي يوسف (١٩٣٤م)، توحي مواضيع مشتركة كحبّ الوطن والتحدّي والنقد الإعلامي وفلسطين والنزعة العالمية في المقاومة وتعزيز فكرة الاستشهاد. كما تشير نتائج هذه الدراسة إلى بعض الفوارق الطفيفة في مواضيع وأساليب هذين الشاعرين.

الكلمات الرئيسة: أدب المقاومة، الشعر، الحرب، الوطن.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١. المقدّمة

١.١ بيان المسألة

«يطلق مصطلح أدب المقاومة على مجموعة من الأعمال التي تعتمد على الخصائص

* أستاذة مساعدة في اللغة العربيّة و آدابها، بأكاديميّة العلوم الإنسانيّة و الدراسات الثقافيّة (الكاتبة المسؤولة) m.n136089@yahoo.com

** ماجستير في اللغة العربيّة و آدابها، بأكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافيّة z.r.m.hakim@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٤/٧/٢٢، تاريخ القبول: ١٣٩٤/٩/١٤

الوطينة أو الدينية وتحثّ الإنسان على المقاومة والجهاد وتحدّي أي نوع من أنواع الظلم والاستبداد والرقّ والعبودية أو تصف لنا مشاهداً من المعارك والنتائج المترتّبة عليها» (مكارمي‌نيا، ١٣٨٣: ١٢). «ولن نجد في أدب المقاومة ظاهرة مستقلة عن المعتقدات السياسية والشعائر الدينية والأفكار الاجتماعية. ويمكن تقييم أدب المقاومة النابع من تحدّي الغزاة ومواجهة المعتدين، يمكن تقييمه نظرياً في أي فكر ومعتقد وفي أي أيديولوجية وبأيّ حافز» (كاكايي، ١٣٨٥: ٩). وبتعبير آخر يمكن وصف «أدب المقاومة بأنه الأدب الذي ينتمي للشعوب المضطهدة والمستهدفة في الحروب» (سنگري، ١٣٨٩: ١٨).

شعر المقاومة في الأدب الشعبي اليوم هو الشعر الذي يتحدّى خصومه بشكل مباشر، ولهذا المفهوم جذور طويلة طبعاً في تاريخ العرب. كبعض القصائد الملحمية للعصر الجاهلي، أو القصائد الحزبية التي ظهرت بعدها في صدر الإسلام وفي العصرالأموي. كما نلاحظ في تاريخ الأدب العربي منذ عصر النهضة وما بعدها أيضاً نماذج كثيرة من هذه الملاحم في قصائد الشعراء وذلك لعدّة أسباب، بما في ذلك الحروب الكثيرة، لا سيّما الحرب العالمية الأولى والثانية وتشكيل الكيان الصهيوني واحتلال فلسطين وانتفاضة الشعوب العربية أمام استبداد الدولة العثمانية وغيرها، كما يمكن القول: إنّ شعر المقاومة بمعناه المعاصر يكون امتدادا للشعر الكلاسيكي المقاوم، كما أنه منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يتّسم بطابع صحوة الشعوب العربية وشاع في العالم العربي بشيوع الشعر الحرّ فيما بعد (بيدج، ١٣٨٩: ٧٥).

«وفي إيران أيضاً، عُرِف أدب المقاومة منذ الحقبة الدستورية (المشروطة)، وليس من العدل طبعاً الإغماض عن كل تلك النهضات والصراعات والتحديات التي كانت قبل هذه الحقبة وتجاهل كل مؤهلات أدب المقاومة في إيران» (أميري خراساني، ١٣٨٧: ٩٦).

«وتُعتبر الحرب المفروضة على إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، أكبر حدث تاريخي لإيران على مدى العقدين الماضيين والتي منحت الشعراء مواضيع مختلفة بما في المواضيع المتعلّقة بالمقاومة» (كاكايي، ١٣٨٠: ٥١-٥٢).

ونظراً لتورّط هاتين البلدين، إيران والعراق، على مدى العقود الماضية بأحداث لا تحمد

عقباها كالحرب، ظهرت مؤهلات تشكيل أدب المقاومة في هاتين البلدتين وعليه أصبحت آدابهما منطلقاً جيداً لانعكاس هذه الثقافة. وبناءاً على ذلك تمّ اختيار شاعرين معاصرين من العراق وإيران، أي سعدي يوسف وسلمان هراتي وكلاهما من روّاد الشعر الملتزم، لتسليط الضوء عليهما خلال هذا البحث. ويمكن تلخيص أهمّ الأسباب التي دعت إلى اختيار هذين الشاعرين ومقارنتهما معاً في النقاط المشتركة التالية:

- كلاهما من الشعراء المعاصرين؛
- كلاهما يتمتّعان بحضارة عظيمة وتراث ثقافي غني يتّسمان بقواسم مشتركة كثيرة؛
- كلاهما من شعراء الشعر الاجتماعي والشعر الواقعي؛
- كلاهما شاعرين ملتزمين؛
- كلاهما من روّاد الشعر الجديد؛
- وكلاهما مسلمين؛
- وكلا الشعبين الذين ينتميان إليهما الشاعرين قد تورّطا بالحرب في الحقبة الأخيرة.

وبناءاً على ما ذكرناه، يسعى هذا المقال، عن طريق دراسة وتحليل كافة قصائد هذين الشاعرين ومقارنتهما وفقاً للأدب المقارن للمدرسة الأمريكية (بغض النظر عن التأثير والتفاعل بينهما)، يسعى إلى الإجابة على الأسئلة التالية:

- لأيّ عنصر من عناصر المقاومة يتطرق سعدي يوسف في قصائده؟
- ما هي أهمّ عناصر المقاومة في أشعار هراتي؟
- ما أوجه القواسم والفوارق بين قصائد الشاعرين الإيراني والعراقي، من حيث عناصر المقاومة؟

٢.١ أهمية البحث وضرورته

إنّ العالم الإسلامي اليوم يواجه حروباً داخلية وخارجية أكثر من أي وقت مضى وذلك بسبب مؤامرات القوى العالمية العظمى، وعليه تضاعفت ضرورة تعزيز ثقافة المقاومة في

المجتمعات الإسلامية. ونظراً للآثار التعرّف على أدب المقاومة وبسطه لتوعية الشعوب يُعتبر رسالة هامة وهدفاً نتطلّع إليه خلال هذه الدراسة.

٣.١ خلفية البحث

وقد تمّ إجراء البحوث التالية حتى الآن فيما يتعلق بهذا المقال:

- مقالة «التناص الشعري في شعر سعدي يوسف»، لسمير صبري خوراني، *مجلة التربية والعلم*، العدد ٤، ٢٠٠٦ وفيه تمّ بيان تحديد اقتباسات سعدي يوسف من الشعراء الآخرين.
- مقال «الانزياح ودلالاته الخيالية في شعر مهدي اخوان ثالث وسعدي يوسف»، لعلي سليمي ورضا كياني، *مجلة البحوث في اللغة العربية و آدابها*، ١٤٣٤هـ. حيث قام المؤلفان في هذا المقال بدراسة تراسل الحواس في قصائد الشاعرين على سبيل المقارنة.
- مقالة «آهنگ سپيد در سروده‌هاي سعدي يوسف»، لرضا محمدي وعباس كنجعلي، *مجلة نقد ادب معاصر عربي*، ٢٠١٣م. ويسعى المؤلفان في هذه المقالة إلى دراسة الموسيقى في قصائد سعدي يوسف.
- مقالة «بررسي محتوايي و تصويري شعر سلمان هراتي»، لغلامرضا رحمدل، *مجلة كاوش‌نامه زبان وادبيات فارسي*، العدد ٢٠؛ وفي هذا المقال تمّت مناقشة إحدى دواوين الشاعر و هو «آسمان سبز» فقط.
- مقالة نقب ونقدي بر عنوان‌شناسي كتاب‌ها و اشعار سلمان هراتي»، لمصطفى كرجي وفرهاد درودكريان وسيدة سارة ميري، *مجلة كتاب ماه ادبيات*، ٢٠١٠، العدد ١٦٠.
- مقالة «جلوه‌هاي ادب پايداري در شعر سلمان هراتي»، لرضا كريمي لاري، *مجلة رشد زبان و ادبيات پارسي*، العدد ٩٦، سنة ٢٠١٠؛ يتطرق المؤلف في هذا المقال باختصار وانتقاء إلى بعض عناصر المقاومة في أشعار هراتي ويتفادى عناصر أخرى كالتحدّي وكقضية فلسطين والمقاومة في باقي دول العالم وانتقاد وسائل الإعلام.

وعدد الصفحات القليلة (٧ صفحات) لهذا المقال يفصح عن إيجاز الكلام ويجعله أشبه بمذكرة علمية منه إلى مقال.

– مقالة «تحليل غزلهاي سلمان هراتي»، لرضا كريمي لاري، *مجلة رشد زبان و ادبيات پارسي*، سنة ٢٠١٠؛ وعدد الصفحات القليلة (٦ صفحات) كالمقالة السابقة يفصح عن مقدار المواضيع المختصرة مما يجعله أشبه بمذكرة علمية منه إلى مقال.

– رسالة الماجستير «نقد صورت‌گرايانه اشعار سلمان هراتي»، لهدى ربيع‌بور، جامعة الزهراء، ٢٠١٠م.

وكما نلاحظ، هناك عدد قليل من الدراسات حول قصائد سعدي يوسف ولا علاقة لها بموضوع المقاومة. وبالنسبة لمواضيع المقاومة في قصائد هراتي نجد مقالات مختصرة جداً ولم تشير طبعاً إلى بعض المواضيع. أضف إلى ذلك، أنه لم تخضع قصائد الشاعرين حتى الآن بشكل مقارن أيضاً للتحليل والدراسة.

٤.١ نبذة عن حياة الشاعرين وأعمالهما الأدبية

١.٤.١ نبذة عن حياة سعدي يوسف وآثاره

وُلِدَ سعدي يوسف عام ١٩٣٤م في قرية فقيرة «البقيع» التابعة لمحافظة البصرة. فقد أباه في طفولته وتولّى رعايته أخوه الكبير. قضى أيام صباه في تعلّم *القرآن* والحديث في إحدى مساجد السنّة وتوجه إلى بغداد بعد أن انهى دراسته للمرحلة الابتدائية والثانوية. وفي عام ١٩٥٤ حصل على شهادة جامعية في الأدب العربي. وبدأت القريحة الشعرية عند سعدي وهو في الخامسة عشر من عمره، وطبع أو مجموعة شعرية له في عام ١٩٥٢ تحت عنوان «القرصان». ونظراً لأنشطته الحزبية تم القبض عليه بعد انتصار البعثيين عام ١٩٦٣. وبعد الإفراج عنه توجّه إلى طهران ومن ثمّ دمشق فالجزائر. وفي عام ١٩٦٨، أي بعد الثورة الثانية لحزب البعث، عاد سعدي ثانية إلى العراق ولكن نظراً لتعزيز موجات القمع والقتل على معارضي الحكومة، لا سيّما الشيوعيين منهم، اضطر ثانية إلى مغادرة العراق وبعد تردده بين قبرص والقاهرة وبلغراد وموسكو وعمان وباريس وبيروت

ودمشق وعدن، استقر به المقام في لندن. وهو حالياً يعيش في الولايات المتحدة منذ سنة ١٩٩٩ (عثمان الصمادي، ٢٠٠١: ١٥-١٧).

ويُعتبر سعدي يوسف أحد روّاد الشعر الحرّ في العراق، وخطى خطوات واسعة مع زملائه الآخرين من روّاد هذا الشعر، لا سيّما في حركة تقريب الشعر من النثر وتشكيل «قصيدة النثر» (المحسن، ٢٠٠٠: ١٧٥-١٧٧)، وكان أكثر تأثره بالسياب والبياتي (عثمان الصمادي، ٢٠٠١: ١٥) من بين الشعراء العرب بناظم حكمت (١٩٦٣-١٩٠١) وغارسيا لوركا (١٩٣٦-١٨٩٨) وولت ويتمن (١٨١٩-١٨٩٢) وتي.اس. اليوت (١٨٨٨-١٩٦٥) من بين شعراء الغرب (المصدر نفسه: ١٧٤ والمحسن، ٢٠٠٠: ٨٩، ١١٤، ١٧٧). وبلا ريب، أن الإبداعات الشعرية لسعدي يوسف وأسلوبه الخاص في تقريب الشعر بالنثر وتفريغ القصيدة من العاطفة الشعرية وبساطة المفردات وضبط الرموز والغموض قد ترك بصماته على الحركة الشعرية ليس في بلاد الرافدين فحسب بل وخارجها. وفي هذا الصدد، تعتقد سلمى الخضراء الجيوسي أنّ أسلوب سعدي الخاص في سرد القصيدة من الناحية الفكرية واللغوية أصبح أسلوباً يُحتذى به من قبل كثير من الشعراء، لا سيّما شعراء فلسطين في العقد السابع، كمحمود درويش (١٩٤١-٢٠٠٨). (المحسن، ٢٠٠٠: ١٢)، وفي مجال الشعر فاز سعدي حتى الآن بعدّة جوائز بما في ذلك جائزة «عرار» عام ١٩٨٧، وجائزة الشعر العالمي في إيطاليا سنة ١٩٩١م، والجائزة الثقافية «سلطان العويس» سنة ١٩٩٢م، وكأفضل مؤلف أجنبي فاز بجائزة «فرفينيا» الإيطالية سنة ٢٠٠٥م، كما فاز بجائزة «متروبولس» في مونتريال، كندا.

ومن دواوينه الشعرية، نذكر ما يلي:

القرصان (١٩٥٢)، أغنيات ليست للآخرين (١٩٥٥)، ٥١ قصيدة (١٩٥٩)، النجم و الرماد (١٩٦٠)، قصائد مرئية (١٩٦٥)، بعيدا عن السماء الأولى (١٩٧٠)، نهايات الشمال الإفريقي (١٩٧٢)، الأخضر بن يوسف ومشاغله (١٩٧٢)، تحت جدارية فائق حسن (١٩٧٤)، الليالي كلّها (١٩٧٦)، الساعة الأخيرة (١٩٧٧)، صلاة الوثني (٢٠٠٤)، يوميات الأذى (٢٠٠٥)، حفيد امريء القيس (٢٠٠٦)، مختاراتي (٢٠٠٧)،

الشيوعي الأخيريدخل الجنة (٢٠٠٧)، أغنية صياد السمك وقصائد نيويورك (٢٠٠٨)، قصائد الحديقة العامة (٢٠٠٩)، في البراري حيث البرق (٢٠١٠).

٢.٤.١ نبذة عن حياة سلمان هراتي ومؤلفاته

وُلِدَ سلمان هراتي في ربيع سنة ١٩٥٩م في قرية «مَزَردشت» من المناطق التابعة لتنكابن الواقعة في شمال إيران. واختار والديه له اسم سلمان وهو اسم جدّه. ونظراً لظروف العيش الصعبة، اضطر هراتي أن يعمل راعٍ للأغنام منذ مطلع شبابه، أي وهو في سن المراهقة. بدأ بسرد الشعر منذ سنة ١٩٧٦م، وبعد أن أنهى دراسته للمرحلة الثانوية في فرع آداب اللغة الفارسية سافر إلى طهران وتمّ قبوله في معهد الدراسات المتوسطة. وتزوّج هراتي سنة ١٩٨٢م وكانت ثمرة زواجه بنت وولد سماهما «رابعة» و«رسول». وفي عام ١٩٨٣ حصل على شهادة الديبلوم وتمّ إرساله في بعثية تدريسية إلى إحدى قرى محافظة لنجرود. ومع انشغاله بالتدريس لم تحبط عزيمته في إلقاء الشعر. وبعد أن بدأ بالمشاركة في الرابطات الأدبية أخذت أشعاره تتّسم بجدارة أكثر وأصبحت له مكانة خاصة بين الشعراء. بعد فترة، ومع تحمّل أعباء السفر، بدأ يحضر الاجتماعات الفنية الأسبوعية في طهران. وقد بلغت أعمال هراتي ذروتها مع مطلع انتصار الثورة الإسلامية ومع بداية الحرب المفروضة على إيران. وفي إحدى أيام الخريف المصادف ليوم الجمعة من سنة ١٩٨٦م لاقى هراتي مصرعه في حادثة مؤلمة أثناء رحلته إلى القرية التي كان يدرّس فيها (← كريمي لاري، ٢٠١٠؛ سنگري، ٢٠١٠: ١١٠).

وأهمّ الأعمال التي تمّ نشرها لسلمان هراتي هي: «از آسمان سبز»، «دري به خانه خورشيد»، «از اين ستاره تا آن ستاره»، «گزيدة ادبيات معاصر» و«مجموعة كامل اشعار سلمان هراتي» بمقدمة قيصر امين‌پور (المصدر نفسه).

«سلمان هراتي شاعر ملتزم؛ شاعر تجرّدت أشعاره من تناقض البيان وتفاخر الكلمة واستطاع عن طريق شعره أن يأخذ بالتوازن الاجتماعي النسبي إلى التحدّي. إنه من أبناء القرية والحرمان والألم وقد عانى الآلام بكلّ مشاعره ولذلك استطاع وبكلّ بساطة أن يصبح مرآة معبّرة تعكس كلّ الآلام التي كانت تذوب وراء كلمات الحياة» (صحيفة فرهيختگان، ٢٠١٣: ١٣).

٢. عناصر المقاومة في أشعار الشاعرين

١.٢ تحليل عناصر المقاومة في شعر سعدي يوسف

١.١.٢ حبّ الوطن و الشكوى من الغربة

نظراً للصراعات السياسية، نُفيَ الكثير من الشعراء المعاصرين من أوطانهم أو اضطروا إلى الهجرة بأنفسهم وعانوا الغربة بشتّى أشكالها، وصار موضوع الوطن والحنين إليه من أهمّ المحاور الأساسية للشعر المعاصر، بحيث لا نجد حديث الوطن في كلام الشاعر إلا ونجد معه الحنين إليه والشكوى من البعد والغربة.

وواقع الأمر في هذه الحالة ينتقل الوطن الذي لا وجود له إلى أعماق الشاعر ويتّخذ شكلاً وهميّاً ليُعدّ الشاعر لنفسه بهذه الطريقة مؤهّلات تحمل معانات البُعد عن الوطن (كحلوش، ٢٠٠٨: ١٤٧). فالمطاردات والتشرّد السياسي تُرهق الشاعر وتتبدّل حسرة الوطن وشميم نسماته العبقة إلى إحدى أمنياته وأحلامه، يتمنى لو كان له قارباً ليعيده إلى وطنه، أو ليته كان عصفوراً خفيف الحركة يتنقّل من غصنٍ إلى غصن بكلّ حرية، ويتمنى لو لم تعثر عليه قوات الأمن و لم تعرفه حتى لا يُحرم من النظر إلى سماء وطنه:

مَوطني ... لو نسمةٌ من مَوطني/ لو شراع نحوَه يحملني/ لو تخفَّيتُ كعصفورٍ فما يعرفني/ حارسٌ يغلق عن عيني سمائي (يوسف، ٢٠٠٩: ١/ ٤٩٤).

فحبّ الوطن أهمّ عنصرٍ ودافع يمنح الشاعر الصبر ليتحمّل سنين المحن والغربة والبُعد عن الوطن. فالنخيل أو سعفة منها هي رمز للعزّة والهويّة الوطنية (عثمان الصمادي، ٢٠٠١: ١٩٣). تُستخدم عدّة مرات ويحملها الشاعر معه من بلد إلى بلد كذكرى من موطنه:

حملتُ علي رمالِ شمالِ إفريقيةَ السعفا/ حملت الطلعَ من منفى إلى منفى ... (يوسف، ٢٠٠٩: ١/ ٢٠٩).

وعلى الرغم من مغالاة الشاعر في تعبيره لحبّ الوطن، نجده لا يغفل أبداً ولا يغمض عينيه عن الواقع. ولذلك نراهُ على الرغم من أن كيانه مملوّ بالحسرة ليشمّ نسمة من نسمات وطنه، فهو يذكر محنة وطنه ويتراجع، وبكل يأس ووحشة يفضّل عتمة الغربة على كآبة الوطن:

«أريد أشرد/ من البصرة/ ولا عود»/ ... وأنا في خطوة المحكوم بـــالموت أســـير/ في ظلامي ... في ظلام لا يسير ...» (المصدر نفسه: ١/ ٤٩٤).

وفي قصيدة «التمرّد» ينتقد سعدي الأجواء المسيطرة على العراق والتي كانت السبب في نفيه ونفي الكثيرين من أمثاله عن الوطن. فمُعاناة الشاعر من الغُربة والبعد عن الوطن تتضخّم في وجود الشاعر حتى تنسيه اسم موطنه. وبتجزأة حروفها يعبّر تعبيراً جيداً أنه على الـــرغم من أن هذه الحروف (ع ـــ ر ـــ ا ـــ ق) هي حروف يأنسها، ألا أنها تفقد معنى الوطن:

طائرة تُسقط سلوى من ورق/ مَنّا من كلمات لا نفقهها/ نتخاطفهـــا مســـرورين و مرتجفين/ بلاد ننسى كيف نسمّيها .../ نعرف أن ع.ر.ا.ق حروف نتهاجاها/ أين نراه؟ (المصدر نفسه: ٢/ ١٢٩).

فهو يتسائل من ابنه، هل سنعود يوماً إلى دارنا؟ وكأنه ضيّع طريقه إلى داره، الدار التي وُلِدَ فيها ابنه. يخاطب الشاعر ابنه قائلاً أنه قضى عمراً في الغربة بعيداً عن أرضه ووطنـــه وقد وهنت وضعفت ذاكرته كما ضعف بصره خلال تلك السنين، ولكن ابنه يتسائل من أبيه عن دارهم، والأب يخاطب نفسه ويجد نفسه متحيّراً في الردّ على اسئلة ابنـــه وحـــبّ استطلاعه عن تلك الدار أو عن الضيوف أو عمّن يُريد مراسلته:

ولدي!/ هل أضعنا الطريق إلى البيت؟/ كان لنا منزل قد وُلدتَ به أنت/ لا شـــك أني هرمتُ/ وذاكرتي وهنت مثل عيني .../ لكنّك الآن يا ولدي تتساءل عن بيتنا !/ كيف؟/ ماذا أقول، إذن للضيوف الذين يجيئون؟/ ماذا أقول لمن يرسلون الرسائل؟/ يـــا ولـــدي! (المصدر نفسه: ٢/ ٣٩٤).

وفي قصيدته المعروفة بـــ «إذن نزنّر هذا الوطن بالبترول والديناميت» يتحدّث سعدي عن تدهور العراق وأوضاعه المأساوية، وأن أجواءه خانقة لدرجة لا يحقّ لأهله السؤال فيه، وليس لهم الحقّ في رثاءه. وهو في واقع الأمر يريد من خلال كلمة «مرثيـــة» أن يصـــوّر للقارئ عمق المصيبة، فالعراق ميّتٌ يليق بالرثاء:

ليس لنا أن نجعل الميم إلى النون هكذا:/ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟/ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟ من؟/ ليس لنا أن نكتب مرثية للعراق (المصدر نفسه: ٢/ ٤٥٠).

٢.١.٢ دعوة للنضال والتضحية

فالدعوة للنضال وتحدّي الظلم والاضطهاد والتأكيد على ضرورة التضحية في طريق الحريّة وسمو الوطن ورفعته هي من المحاور الرئيسة الأخرى لأشعار سعدي الوطنية. فنداءه لإنقاذ العراق ودعوته للنضال تتعدى أحياناً حدود الوطن وتدعوا البشرية كلّها لنصرته:

إنّنا لا نَرهبُ الموتَ، ولكن، يا جميعَ الشُرفاء/ يا جميعَ الأصدقاء .../ ارفَعوا أصواتَكم مِن أجلِ شعبي/ إننا نطلبُ مِن أعماقِكم صيحةَ حبٍّ ورصاصة ... (المصدر نفسه: ٢/ ٤٦٨).

فالشاعر يعتقد أنّ الشعور بحبّ الوطن وحده لا يُجدي ولا يفي لإنقاذ الوطن والأهمّ هو التضحية لأجل الأهداف الوطنية. وعليه تتحوّل التضحية الحمراء إلى إحدى أهمّ أهداف شعر النضال عنده ويعلن أنه على الرغم من أن أكبر همّه هو مُعانات الشعوب وآلامهم وحبّ الوطن والبشرية كلّها، ولكن الموضوع الرئيس هو التضحية لأجل تحقيق هذه الأهداف:

إنني قد أحلمُ الآنَ بشباك القمر/ وبآلامِ البشر/ إنني قد أحلمُ الآنَ بحُبّي/ وبشعبي/ غيرَ أنَّ المسألة/ أن تَري مَن يَمنحُ الحُلمَ دما/ يا صديقي ../ يا صديقَ المسألة/ إننا نمنحَ للحُلمِ دما ... (المصدر نفسه: ٢/ ٤٧٢).

وفي مقطع آخر من قصائده، ومن خلال وصفه لأوضاع العراق المتدهورة ووصف مأساة هذا الشعب، يؤكّد الشاعر على ضرورة التضحية وفتح أبواب الموت والصمت وفتح أبواب قصور الملوكب الأحجار الطالعة من بين أشجار الريف، وينبغي على الجميع أن يسعي لبناء عالم أفضل:

لنفتح باب الموت/ وباب الصمت/ وأبواب القصر الملكي/ لننسفها بالحجر الطالع من أشجار الريف .../ لنَبنِ العالم أجمل .../ أجمل/ أجمل (المصدر نفسه: ١/ ١٠٥).

وإلى جانب دعوته للنضال والتحدّي، يلقي الشاعر اللوم والعتب أيضاً على أولئك الذين اختاروا الصمت أمام الفوضى والقتل والدمار أو الذين يتسامحون مع المتعسّفين والقامعين لحرية الشعب. وليكون في مأمن من عواقب كلماته، يفضّل الشاعر استخدام أفعال وضمائر المتكلّم لوحده وبذلك يجعل قصائده أكثر تأثيراً على جمهوره:

في زمن الفتنة/ والقتلِ، سأغمض عيني ... وأنظر للقتل/ أحاصروه حينا/ وأحاوره حينا/ أو أرضي حينا بالقتل (المصدر نفسه: ١/ ١٢٥).

وفي مقطع آخر من قصيدته وحين يُكرم الشهداء ويذكر عزّهم، يقسم الشاعر على مواصلة طريق الشهادة والنضال والكفاح ليخلّص موطنه من الأسر ولأجل داره التي ظلّت من بعده خالية خاوية:

«يا عزّة الشهداء ...»/ أقسمنا نقاتل/ من أجل وجهك أيها الصوت العميق/ من أجل أغنية صغيرة/ ولأجل موطني السجين وبيتي العاري/ يا أيها الصوت العميق/ كن صيحة للثأر في أعماق ثوار! (المصدر نفسه: ١/ ٤٩٢).

٣.١.٢ مكافحة الاستبداد

فمكافحة الطغيان والاستبداد وتصوير جرائم الطغاة على مدى التاريخ، يُعتبرُ موضوعاً هامّاً جداً لم يغفل عنه أي شاعر حرّ وملتزم. فالحبس والتعذيب والظلم والقمع والقهر والنفي، الكذب والتضليل كلّ ذلك دليلٌ على جرائم الحكّام وسطوتهم على مدى التاريخ ليقمعوا بهذه الطريقة أي دعوة للحرية ويخمدوا أي صوت ينادي للحقّ وليُرسوا، بزعمهم، قوائم مملكتهم. فصفحات التاريخ الحمراء و أسطر قصائد الشعراء الأحرار تدلّ كلها على الشعوب المضطهدة التي سُحقت تحت أقدام مستبدة تعسّفية ظالمة.

وتاريخ العراق الحافل بشموخه وأفوله يروي لنا حكاية قرون متمادية من ظلم الحكّام وقمعهم لهذا الشعب المضطهد والناس العزّل وتعاستهم وبؤسهم أكثر من أي وقت مضى. وفي هذا الصدد، كان ولا يزال هناك من يتحدى جبهات الباطل ويجاهد بقلمه وسلاحه دفاعاً عن المظلومين والمضطهدين.

كما تتضمّن المجموعات الشعرية لسعدي يوسف قصائد تلوّح أو تصرّح بانتقاده للحكومة والاستبداد المسيطر على شعبه ويصفها قائلاً:

وفي أجواء قمعية وتعسفية مسيطرة على العراق، لم يتجرأ الشاعر أن يسأل مجرد سؤال! أن يسأل نفسه مَنْ السبب في تعاسة وبؤس هذا الشعب؟! يرى الأبواب كلّها مغلقة

بوجهه ويكاد يختنق بالصيحة التي كانت تملء أعماقه، فهم قد سلبوا منه حقّ رثاء وطنه. وبما أن الرثاء هو للأموات، فهو دليل على عمق الكارثة التي أدّت بالعراق إلى هاوية الفناء وجعلته مستحقّاً للرثاء:

ليس لنا أن نجعلَ الميمَ إلي النونِ هكذا:/ مَن؟ مَن؟ مَن؟ مَن؟ مَن؟ مَن؟ مَن؟/ مَن؟ مَن؟ مَن؟ مَن؟ مَن؟/ ليس لَنا أن نكتُب َمرثيةً للعراق./ إذن، فالطريقُ إلى عدنٍ/ مغلقٌ./ والطريقُ إلى غيمة الجلّنار/ مغلقٌ./ والطريقُ إلى اصفهان/ مغلقٌ./ والطريقُ إلى مترلي في النخيل/ مغلقٌ./ والطريقُ الذي ظلَّ مستغرقا بين بيروتَ والشامِ/ مغلق (المصدر نفسه: ٢/ ٤٥٠).

وبعد ثلاثون عاماً من الكفاح والنضال السياسي وانتقاد الساسة المستبدّون الذين لم تكن لهم آذان صاغية أبداً ليسمعوا آراء معارضيهم، الشاعر يُشير إلى تهور نظام البعث بالعبث بالبلاد وبممارسة الوحشية في العراق وفي دول الجوار كإيران وذلك بإشارته إلى اغلاق الطريق إلى إصفهان، يشعر سعدي باليأس من أن يشمّ نسمة حرّية تهبّ عليه من العراق أو يرى بريق أمل منه، وبكل جنون يصدر حكم دمار الوطن علّه يخلّص العراق إلى الأبد مما ابتلي به من محَنْ:

لا فائدة/ سعدي يوسف يكتب منذُ ثلاثينَ عاما./ يجرِّب./ ويقتتل/ ويَحتقِر الحكام./ يقول: إنهم يَقتلون القصيدةَ الجديدة .../ لا فائدة./ إذن؟/ نُزنِّر هذا الوطنَ بالبترولِ والديناميت.../ و؟ (المصدر نفسه: ٢/ ٤٥٢).

٤.١.٢ تعليقه لوِسائل الإعلام

تفشّي الكذب وتفشّي أجواء التهم والإشاعات من الخصائص الأخرى للمجتمع العراقي والتي لم يغفل عنها الشاعر و لم تبتعد عن آراءه وانتقاداته اللاذعة. فالشاعر يعتقد أن الإعلام في العراق أخذ يسلك طريق الغدر بدلاً من أن يكون في خدمة الشعب، وإنه يسعى في تحقيق أغراض الحكومة الطاغية. ومن وجهة نظر الشاعر أن العاملين في وسائل الإعلام هذه هم أوغاد وشريرون لا يعرفون معنى الحبّ ولا يدركون المهج الجريحة، هم مُفترون صُمّت آذانهم عن سماع هتافات الحق الصريحة:

لا تقرأ الصحفَ الدنيئة/ اذهَب إليهم، حطّمِ الأبوابَ، وابصِق في وجوهِهم البذيئة/ ... هم لا يَعرفونَ الحبَّ والمهجَ الجريحة/ لا يَعرفون الصدقَ، أغنيةَ الجماهيرِ، الصريحة ... (المصدر نفسه: ۱/ ٤۳٥).

٥.۱.۲ قضية فلسطين

فانقسام العالم العربي وتعرّض كيانه القومي لخطر الصهيونية هو خطر يهدد السياسيين والمفكّرين ويدفعهم للتفاوض وصنع القرارات اللازمة لحلّ هذه القضية.

بعد الحرب العالمية الأولى سقطت الدولة العثمانية على يد الدول الغربية وانشطر الشرق العربي الذي كان يشكل جزءاً كبيراً من الدولة العثمانية ووقع تحت سيطرة دول الغرب المستعمرة (بيگدلي، ۱۳٦۸: ۲٦؛ پارسادوست، ۱۳٦۹: ۳۰-۳۱). وتجزّء العالم العربي بعدها وأصبح له حدود جغرافية، ومهّدت هذه الحدود شيئاً فشيئاً الطريق للفرقة بين الشعوب العربية (عزالدين، ۲۰۰۷: ۱۸۳) ومنذ ذلك الوقت، على الرغم من المحاولات لخلق الوحدة العربية، لم يتحقق الهدف المنشود، وتحولت الأحداث التي تلتها، كالاحتلال الصهيوني لفلسطين ولبعض الأراضي السورية واللبنانية وكذلك صمتُ الحكومات العربية أمام هذا الاحتلال، تحولت بعدها إلى أزمة خطيرة تهدد العالم العربي.

فتشتّت العالم العربي وتشطّره إلى دويلات يمكن أن يكون عاملاً مهمّاً فيما آلَ إليه المصير العربي اليوم وفي تعزيز الأزمات الحالية القائمة على أراضيه. فوحدة الأراضي العربية وإزالة الحدودمن بين دولها بات أمراً مستحيلاً تقريباً، ولكن وحدة الكلمة والوفاق الفكري والدولي بين الدول العربية يمكنه أن يمهد، إلى حدّ ما، السبيل إلى تخلص العرب من الأزمات الحالية.

وقد بلغ العرب الذروة في الذلّ حتى ابتلوا بالطغيان بدلاً من أن يكونوا أسوة في العدل والإنصاف، وآلت ثوراتهم إلى الفشل وابتليت أحزابهم بالتزوير والتضليل وابتلى اقتصادهم بالفساد وأخذ اليهود يصلّون في قدسهم الشريف!

صباحَ الخير، ألفاً، أيها العربُ!/ صباحَ الخير، يا أمَّةً تعرَّت أمةً وسطا.[۱]/ صباحَ الخير للثوراتِ تنقلبُ .../ للأحزابِ إذ تُرشي: صباحَ الخير/ للدولارِ قوميـاً: صباحَ الخير/

للقدسِ التي صلّي بها الجربُ/ صباحَ الخير .../ صباح الخير، تُف ... تُف ... أيها العربُ! (يوسف، ٢٠٠٩: ٢/ ١١١).

وفي قصيدة أخرى تحت عنوان «الساعة الأخيرة»، يتّهم الشاعر العرب بما آل إليه مصير فلسطين اليوم. ونجده يؤنّبهم بأسألته وإعادتها عليهم وكيف سمحوا أن تُمزّق فلسطين أشتاتا:

أو لم نأكل فوق جسوم القتلى خبزهمو مرشوشا بالماء؟/ أو لم نجلس في قاعة مشرحة حول فلسطين؟/ أو مامزّقنا جثّتها ... مزقا؟/ لنسلّمها، واحدة، واحدة، واحدة، واحدة، واحدة؟ (المصدر نفسه: ١/ ٤٨).

فمحاولات الصهاينة الواسعة لتهويد الأراضي المحتلة المستهدفة في إضعاف الهوية الفلسطينية ومسحها من خريطة العالم من جهة، وتهاون زعماء العرب وتجاهلهم من جهة أخرى، قضية يهتمّ بها الشاعر وتنعكس في أشعاره الوطنية؛ حيث يعتبر إيمان العرب بهوية فلسطين المستقلة والجهود المبذولة لإحياء كيانها على خارطة العالم، مهمّة تفوق أي مهمّة:

قبلَ أن تَختفي الهويةُ ملفوفةً بالنشيج/ قبلَ أن نَبتدي/ قبلَ أن ننكفيء/ قبل أن نتباهي بأنَّ فلسطينَ ليسَت علي الخارطة/ قبل أن نَختفي في قصيدة/ قبل أن .../ ثمتَ الأرضُ ... (المصدر نفسه: ٢/ ٢٤٢).

وفي أبياتٍ آخرى من قصائده، يشير سعدي إلى اظطهاد أطفال فلسطين في مخيّمات صبرا، وأنهم يتجرّعون دخان أسلحة الحرب بدل أن يرتوا من الماء. وفي هذا المصرع القصير والمؤثّر يقول؛ تشرب القبرة الماء وكذلك الطير النبتة، وأطفال فلسطين في مخيّم صبرا محرومون حتى من النعم التي يتمتع بها العشب وتتمتّع بها الهوام، وبهذه الطريقة يسلّط الشاعر الضوء على نقطة خطيرة وهامة جداً:

تشرب القبّرة/ يشرب النجم/ والبحر يشرب/ والطير/ والنبتة المترلية تشرب/ لكنّ أطفال «صبرا»/ يشربون القذائف (المصدر نفسه: ٢/ ٢٧٣).

٦.١.٢ النزعة العالمية في المقاومة

والمثير في قصائد سعدي هي نظرته وآراءه الواسعة التي تتعدى حدود الوطن. أي أن

أوضاع العراق المتدهورة والكوارث المنصبّة على وطنه لم تمنعه من الاهتمام بقضـــايا دول العالم وأزاماتها.

وإحدى هذه الدول التي يهتمّ بها الشاعر هي لبنان وقضية احتلالها. يعتقد الشـــاعر أن نتيجة السياسات الانفعالية وغفلة الحكومات العربية بعد احتلال أراضـــي واســـعة مـــن فلسطين هو أن تصبح لبنان الضحية التالية. حيث هجم الغاصبون على لبنان أيضاً بكلّ ما يملكون من قوّة و لم يرحموا أبسط منشآتها، وجعلوا شعب لبنان يعاني أقصى أنواع الحرمان بعد أن قطعوا الكهرباء عنه؛ ومن ظلام ليالي بيروت تتداعى للشاعر ذكريات ليالي الريف وظلامها والأمان الذي يسود فيها مع ما تعانيه بيروت من عتمة رهيبة ومرعبة!

فجأةً نتذكر ليلَ القري/ والبساتين/ والنومَ في الثامنة/ فجأةً نتعلّم فائدةَ الفجر/ نســـمعُ صوتَ المؤذّنِ والديك/ والقريةَ الآمنة (المصدر نفسه: ٢/ ٢٧٥).

فانقطاع التيار الكهربائي في المراكز الصحيّة كالمستشفيات، يزيد الطين بلّة ويعرّض حياة المصابين والمرضى لأخطار كثيرة؛ طفل يفقد وعيه من الظمأ ولكن بسبب قطـــع الكهرباء وظلام المستشفى، يُضمُّ خطئاً مع الموتى ويُنقل إلى المقبرة ويُدفن، وهذه صورة واحدة فقط من صور مؤلمة كثيرة أخرى من الكوارث التي يصبّها العدو الصهيوني على رأس لبنان:

الطفلُ الميِّتُ من ظمأ/ في المستشفي المظلم/ دفنوه سريعا/ ومضَوا مرتبِكين/ وها هو يفـــتح عينَيه الذابلتين يفتح عينيه الواسعَتين/ ويحفِرُ/ يحفِر في الأرضِ عميقا (المصدر نفسه: ٢/ ٢٨١).

القصف العسكري يدمّر كل شئ و لم يتركوراءه سوى الخـــراب والـــدمار، حظـــام وانقاض علّها كانت يوماً متجراً أو دار أرملة مرحة أو جزء من ذكريات مسافر، تحـــوّل اليوم إلى مجزرة لأصحابه:

ربّما كانَ بيتاً لتاجر/ أو لأرمَلةٍ مرحة/ ربّما كان في ذكرياتِ المسافر/ غيرَ أنّ المنازل/ أقبَلَت هكذا في ثيابِ المقاتل/ نصبَت ساتراً/ واختَفَت (المصدر نفسه: ٢/ ٢٧٦).

ومن المواضيع التي اهتمّ بها شعراء الشعر الحرّ هو الدفاع عن لبنان كجزء من الـــوطن العربي وصيحة المقاومة والتحدّي؛ وكأنه باستخدامه لفعل «نقول» بصيغة المـــتكلم مـــع

الجمع يريد تسليط الضوء أكثر فأكثر على ضرورة اتحاد ووفاق كافة العرب للدفاع عن هذه الدولة باعتبارها جزءاً من الوطن العربي الكبير:

نَقول: نُقاوم/ ونقول: ستَبقي بيروت/ ونقول: هنا بيسان/ ونقول: هنا نَسقُط قتلي/ ونقول: هنا ننهَض قتلي/ ونقول: لَنا لبنان (المصدر نفسه: ٢/ ٢٤٠).

يقول الشاعر بصراحة أن أول معاناته هي الآلام التي يعاني منها البشر ويليها وطنه؛ والخوف وحده لا يجدي شيئاً ولكن دعنا نرى من المستعد للتضحية بدمه لأجل تلك الأهداف السامية، والشاعر طبعاً يزعم أنه مستعدّ للتضحية والفداء:

إنّني قد أحلم الآن بشُبّاك القمر/ وبآلام البشر/ إنّني قد أحلم الآن بحبّي/ وبشعبي/ غيرأنّ المسألة/ أن ترى من يمنح الحلمَ دما/ يا صديقي .../ يا صديق المسألة/ إنّنا نمنح للحلم دما (المصدر نفسه: ١/ ٤٧٢).

وفي مقتطفات أخرى من قصائده، يذكر الشاعر أحد أخوته الجزائريين حيث يتحدثان عن ذكرياتهما معاً، عن داره التي سُرِقَتْ وعن الشعب الذي لا يموت وعن العامل المعلّق بحبل المشنقة لأنه ناضل وكافح؛ وفي هذه الأشعار يصف الشاعر حبّه لأخيه الجزائري وتعاطفه معه وكأنّ حبه في قلبه كالملح في مياه البحر أو كالسمن في الزيت أو كالخبز في القمح، وكما أن الملح جزء من طبيعة البحر والسمن جوهر حبّات الزيتون والخبز عصارة القمح، فحبّ أخيه أيضاً جزء لا يتجزّأ من قلبه:

الملحُ في البحر/ والزيتُ في الزيتون/ والخبزُ في القمح/ وأنت في قلبي/ قدزرتَ بيتي هذه المرّة/ وكنتَ في الأسرة/ حدّثتَنا عن بيتك المسروق/ عن شاعرفي السوق/ عن أمّة لا تموت/ وعامل مشنوق ... (المصدر نفسه: ١/ ٤٨٣).

وفي مقطع آخر يسأل الشاعر الاستعمار الفرنسي ويتسائل عن حافة مقصلتهم الحادّة، أين وُضعتْ؟ إنّ شفرة مقصلتهم قد قطعت رأسه (والمراد هو الشاعر نفسه لأنه رمز لكافة المكافحين والمعارضين) في السجن في بطن الأراضي الجزائرية بعد أن قطعت رؤوس المناضلين كجميلة بوحيرد[٢]:

أيها الشعب الفرنسي ... ندائي/ كلّه حزن عليك/ أيها الشعبُ. ولكن ... أين حدّ

المقصلة؟/ أين حدّ المقصلة؟/ إنّها تقطع في سجن بأعماق الجزاير/ عنقي/ إنّها تسأل عن عنق جميلة (المصدر نفسه: ١/ ٥٢٧).

ويشير في قصيدته أيضاً إلى قتل أحد المقاتلين من غواتيمالا، وكان من أصدقاءه، ويعتقد الشاعر أن غواتيمالا والحبّ وراية غواتيمالا الحمراء ستعلو وترفرف من بذل دمائهم:

إنّه مات قتيلا/ أنت يا أنطونيوبيريز العزيز/ أنت يا من مزّقوك/ قرب مبنى الحزب .../ إنّ غواتيمالا/ والهوى والراية الحمراء، منّا تتعالى (المصدر نفسه: ١/ ٥٢٣).

٧.١.٢ مدح الشهداء وذكراهم

و بما أن للشهادة مكانة خاصّة في تعاليم الدين الإسلامي القويم، نرى أنّ شعراء المقاومة المسلمين يتطرّقون إليها بأساليب شتّى. وسعدي يوسف أيضاً من الشعراء الذين اهتمّوا بموضوع الشهادة في أشعاره. فهو يعتقد أن الشعب العراقي أقوى من الموت، ودماءهم الثائرة هي التي منحتهم تلك القوّة. وعبارة «الغد الأحمر» استعارة لدماء الشهداء، أي أن الغد سيصبح لونه أحمر من دماء الشهداء، ولا ريب أن الشعب هو الذي سيظفر بالمستقبل. ويصرّح أيضاً أنه تعلم من الشهداء هذا الطريق، ولهذا يُناشد العدو أن يمزّق له صدره بكلّ ما يملك من قوّة؛ وعندها سيرى أن صدره وصدور الثائرين من إخوته لا ينضح سوى النور والأمل وحبّ الشعب وحبّ الوطن:

إنّنا أقوى من الموت، لنا دفء الدماء/ والغد الأحمرو الدنيا لنا/ سننادي أرضنا/ أرضنا والسوسنا/ .../ نحن من إخواننا القتلى صنعنا أفقنا/ وعرفنا دربنا/ فإذا ما شئت مزّق صدرنا/ لن ترى إلا السنى/ والمنى/ والموطنا (المصدر نفسه: ١/ ٤٧٣).

كما يشير في قصائده إلى خلود الشهداء وأنه لا أحد يستطيع أن يُمحي أثرهم. ويعتقد أنه حتى المطر ومعينه لا يمكنه أن يمحو أثر دماء الشهداء وستنمو هذه الدماء يوماً كالزهرة الوحشية وستنفجر. وباستخدامه لفعل «سينفجر» يسعى الشاعر أن يرسم صورة مثيرة لدماء الشهداء الذي من شأنه أن يهزّ العالم بأسره:

من يغسل الدم في الشوارع؟/ من يغسل الدم في الشوارع؟/ هذا الدمّ الأزلي ... من

يلقي عليه اليوم ستره/ من يسرق الشهداء حفرة/ .../ هذا الـــدم ـــ الظفـــر/ وكزهـــرة وحشية .../ يوما سينفجر (المصدر نفسه: ۲۸۳).

وذكرى الشهداء موضوع آخر يتطرّق إليه الشاعر في أشعاره. فهو في قصيدة تحـــت عنوان «شهداء عراقيون»، يذكر أربعة من الشهداء العراقيين من أصدقاءه الذين كانوا معه في حارة «حيّ السلم» في بغداد. يصفهم الشاعر بأنهم كانوا قنّاصي دبابات ورواة قصائد وعشّاقاً لفلسطين وأصحاباً له في بغداد، وبعد أن استشهدوا تحوّلوا إلى أشجار في «حـــي السلم». وبما أن الأشجار باسقة ومنتصبة، يشبّه الشاعر صحبه الشهداء بالأشجار لأنهـــم استشهدوا ولا زالوا منتصبي القامة كالأشجار:

كانوا أربعة في حي السلم/ قنّاصي دبّابات/ وروّاة قصائد/ كانوا عشّاقا لفلســـطين/ رفاقا في بغداد/ وأمسوا أشجارا في «حي السلم»/ أربعة كـــانوا في «حـــي الســـلم» (المصدر نفسه: ۲/ ۲۸۳).

۲.۲ عناصر المقاومة في شعر سلمان هراتي

۱.۲.۲ حبّ الوطن

يُعتَبَرُ حبّ الوطن أحد أهمّ المواضيع الرئيسة لشعر المقاومة، لأنه لو لا هذا الولع لَما ضحّى الإنسان بماله ونفسه من أجل وطنه. ويُشير سلمان هراتي في مقاطع كثيرة من قصائده إلى الحبّ السرمدي للوطن. فهو يمنح وطنه روحاً ويخاطبه ككيانٍ حيّ وفي أقصى حـــالات ضعفه يراه قوّياً لا يُضاهى؛ ويتسامى عنده حبّ الوطن حتى يرى الموت معه حياةً وكرامة:

يا منتصباً على العشب المشمسة جليّاً/ يا موطني!/ يا أقوى من اضطُهِدْ/ أحبّـــكَ! يـــا شمساًتحمل قلباً كالبحر/ فالموت فيك حياة ... (هراتي، ۱۳۸۰: ۱۵).

ويسترسل قائلاً، على الرغم من حزنه وقلقه لوطنه، لا ينبغي البكاء على الـــوطن، لأن الحبّ والعقل يجتمعان معاً فيه، وبحبّه، يسعى أبناءه في تقدّمه وسموّه؛ وأمهاتـــه صـــابرات وآباءه بواسل؛ أرضٌ أتمّ الله نعمته فيه من بحار وغابات وغيرها:

لِأبكي/ لا لأجلك/ فالحبّ والعقل فيك تصالحا/ ويديك خضراءٌ نَضِرَة/ وسماءك زرقاء صافية/ وشبابك/ رجالٌ الدعاء والسلاح/ وأمهاتك صابرات/ وآباءك شجعان بواسل/ وغاباتك خضراء منتصبة/ وبحارك/ متناغمة مع جبروت الحبّ ... (المصدر نفسه: ١٦).

و في أبياتٍ أخرى من قصائده يصف موطنه وكأنّ الهموم والآلام قد انصبّت عليه من كلّ حدب وصوب، ويعاتب نفسه ويؤنّبها لعدم تعاطفه معه والتضحية لأجله. وطبعاً يبدو أنّ الشاعر لا يقصد نفسه في هذا الكلام، بل يريد به كلّ هؤلاء الذين اختاروا رغد الحياة ونعيمها والبؤس من حولهم يبلغ ذروته و لم يكن لهم أي دور سوى التفرّج. ويعتقد الشاعر أنه مهما كان الإنسان، فهو لا يُعتَبَرُ عاشقاً ما لم يعشق وطنه:

يا موطني ويا حبّي/ يا مستودع الآلام/ روحي من فقد الآلام/ تتألم/ ومن غير ذا الألمِ مهما كنتُ/ لم أك عاشقاً (المصدر نفسه: ٦٤-٦٥).

وبعدها يطلب الشاعر من موطنه أن يزيده شوقاً وحنيناً لمهبّ ريحه وعواصفه. ويبدو أن ما يريده الشاعر من العواصف هو الآلام والمحن التي تعاني منها بلاده، خاصة وأن قصيدته هذه ألقاها في عام ١٩٨٤، وخلال هذه السنين عانت إيران الكثير من ويلات الحرب والحصار الاقتصادي وغيرها من المحن. ولذلك يريد الشاعر أن يمتلء كيانه بالشوق والحنين لتلك الآلام ليتخلّص من الوحدة وأن يُشاطر بلاده بكلّ ما يُعانيه:

يا موطني، يا حبّي/ للريح و العواصف/ خذ حنيني/ أنا وحيداً/ قادمٌ إليك/ سأشاطرك باقي حياتي (المصدر نفسه: ٦٦).

وفي قصيدة «پاسخ يک نامه: الرد على رسالة» يردّ هراتي على رسالة أحد أصدقاءه في أمريكا وفيها يصف له موطنه. والوطن في مخيّلة الشاعر إنسانٌ يرتدي ثياباً صيفية ويقف عند النافذة تُفتَحُ أمام سماء زرقاء. وبرأي الشاعر الكل هناك طيّبون إلّا القليل؛ فهو يرى أبناء وطنه مهما كانوا هم أكثر رشداً وأكملُ عقلاً من الغربيين. فهو لا يَملّ الوطن لأنه لا يُمَلّ وتجد له دائماً أنشودة جديدة تُنشد:

وهنا/ سماء زرقاء/ وطنٌ يرتدي ثياباً رقيقة/ يقف أمام النافذة/ تُفتَحُ نحو السماء/ الكل هنا طيّبون/ و الأشرار قليلون/ أبناء وطني هم أكثر رشداً من الغربيين/ هنا شجرة وميـاه/

طيور وشمس/ وأيدٍ كثيرة/ تملء السماء/ هنا أنشودة تُنشدُ دوماً/ لم تسمعها من ذي قبل ... (المصدر نفسه: ٢٥٠).

ويتحدّث بعدها عن العلاقة الروحانية والعاطفية بين الإمام الخميني (ره) والشعب. فهو يرى الشعب في موطنه ببصيرته لا ببصره ويتحمّل الكثير من المعاناة لأجلهم ولأجل ما يحبّون. وللموت والحياة في موطن الشاعر معناً، والمعنى ليس إلّا عمق العشق والعبارة التي يهتّم بها الشاعر هي «خم شدن» بدلاً من الوقوع أو السقوط؛ ولعل هذا الخيار نابع من رؤية الشاعر إلى الشهادة لأنه لا يعتبره موتاً ولا سقوطاً أبداً:

هنا الكلّ يهوى الإمام/ والإمام يهواهم/ نفتح نوافذ أعيننا/ ونبصر بأفئدتنا/ وبعدها الحبّ/ وبعدها العذاب والحلم/ والإنحناء في دماءنا/ وهكذا/ لأجل الحبّ/ وُلدنا للدنيا/ وسنرحل عنها (المصدر نفسه: ٢٥١).

٢.٢.٢ الدعوة إلى الكفاح

وفي قصيدة «امتحان نهايى» يدعو الشاعر أبناء وطنه للتحدّي والكفاح، ويطلب منهم أن يستعدّوا قبل فوات الأوان. فهو يرى جبهات الحرب كالحصص الدراسية التي ينبغي أن نتعلّم منها والإمام معلّمٌ يلقي على الجميع دروساً كثيرة. ويرى الكفاح فرصة ينبغي ألا نضيّعها ببساطة. فهو يشبّه النضال بـ «الامتحان النهائي» لأنه من شأنه أن يحسم مصير الإنسان:

وجبهات الحرب مدرسةٌ/ دروسنا فيها/ هيا بنا قبل فوات الأوان/ أحمل سلاحك يا أخي/ سيأتي الإمام/ وسيبدأ الامتحان النهائي (المصدر نفسه: ٣٥٣).

وفي مقتطفات أخرى من شعره، يدعو الشاعر الجميع للجهاد والشجاعة بلسان أحد المجاهدين من أبناء الجنوب؛ مجاهد لا يعرف شيئاً سوى الملحمة والسلاح. والآمر بالنسبة له هو المعلّم، والترسانة هي حصص الدرس وهو لا يحارب فيها فحسب بل يتعلّم فيها الشجاعة والتضحية. والطباشير فيها يعني الرصاص ويُستهدف به السبورة السوداء كقلب العدو الأسود:

هيا بنا سويّاً، لا تخف/ أنا ابن الجنوب/ وفي أفكاري البريئة/ لا تكلّمني إلّا عن الملحمة/ ولا تسألني إلّا عن البندقية/ لأن معلّمي/ هو آمري/ والترسانة حصة دروسي/ وبطباشير

الرصاص/ كتبنا دوماً بلا تأنٍ:/ «سننتصر»/ سبورتنا/ هي القلب الأسود لأعداء الإسلام (المصدر نفسه: ٣٦٤-٣٦٥).

وإلى جانب نداءه للجهاد والنضال، يشجب الشاعر ويؤنّب كلّ من اختار نعيم الحياة ولهوها ولعبها في أيام الذروة من المحن:

عندما قصفوا/ الجنوب/ وفي منتجعكفي الشمال/ لأيٍ من الكلمات المقطّعة الصعبة/ كنتَ تنظر/ من النافذة إلى البحر؟ (المصدر نفسه: ٥٨).

وأما الدعاء وذكرى الجبهات فيشكّلان جانباً آخر من قصائد هراتي النضالية. وعن طريق وصف الأجواء الروحانية والمباركة لجبهات الحرب ووصف النقاء والإخلاص الذي كان يتحلّى به المقاتلون، كان يدعو بشكل غير مباشر إلى الجهاد. فهو يرى الجبهة ملاذاً لمن أراد التخلّص من «هواى گرفته بودن» يعتقد الشاعر أنه ما أن يرفع الإنسان خطوة في جبهات الحرب حتى يمتلء كيانه كلّه بشعاع التوحيد:

متى ما أردت التخلّص من الهموم/ وتوجّهت نحو الجبهات/ سيكون كيانك كلّه شمس/ لأن من تبرّك بالتوحيد ... (المصدر نفسه: ٨٢).

والذهاب إلى الجبهات بالنسبة له، يعني اللقاء مع الشمس أو بمعنى لقاء الله و ذلك لا يتحقّق طبعاً إلّا بالسعي والمثابرة؛ وبرأيه التواجد في الجبهات هو السبب في خلق توتّرٍ حسنٍ بديل للذّات الدنيا الرخيصة العابرة:

خاطبت الفؤاد: لا يمكن لأحدٍ أبداً بلا جهد/ أن يلتقي بالشمس/ وقال صاحبي: أتذكر العام الماضي؟/ كم كانت أيامنا جميلة!/ ولكن اليوم أنظر/ يا له من توتّرٍ حسنٍ يملئنا! (المصدر نفسه: ٨٣).

٣.٢.٢ التعليق على وسائل الإعلام

وفي قصائد أخرى تحت عنوان «دنيا در باتلاق تقلب» يكشف الشاعر الستار عن وجه الإعلام الخادع الذي يغوي الشعوب ويضلّهم بالأكاذيب حتى لا يدركوا الواقع المرير حولهم:

الفضائيات الكاذبة/ تُحشر أنفها في السياسة/ وعلى الرغم من العواصف المحيطة بالعالم/ تعلن الأرصاد الجوية أخباراً لأجواءٍ معتدلة دائماً/ ومناماً سعيداً/ تتمنّاه لمستمعيها ولمشاهديها الكرام ... (المصدر نفسه: ٨٩-٩٠).

٤.٢.٢ قضية فلسطين

أينما ذُكرت المقاومة، ذُكرت معها فلسطين. ومع كلّ ما كان ينتاب هراتي من قلق آنذاك ــ الحرب المفروضة ــ لوطنه، لم يغفل أبداً عن قضية فلسطين. فهو يدعو ساسة العالم «كفتربازان سياست پيشه» لأنهم يسعون دائماً وبزعمهم الكاذب خداع الشعوب وتضليلها. ومن وجهة نظره، أنهم يسعون أن يُقنعوا شعوب العالم أنه ليس هناك حلّاً لمشكلة إيران سوى السلم وليس هناك حلّاً لقضية فلسطين سوى الرضا بالتشرّد والنفي عن الوطن:

رعاة حمام مسوّسون/ حمائم ورقية/ منذ زمن بعيد/ يطيرون في سماء العالم/ ويسعون/ لإقناع العالم/ جرح إيران يطيب بضماد الزيتون/ وفلسطين البائسة ينبغي/ أن ترضى بالتشرّد ... (المصدر نفسه: ٩٠).

٥.٢.٢ النزعة العالمية في المقاومة

وفي مجال معاني المقاومة، يتمتّع هراتي برؤية تتعدّى حدود الوطن. فهو يشعر بآلام الشعوب المضطهدة الأخرى إلى جانب ما يعانية من ألم لأبناء وطنه وبلاده. أفغانستان هي إحدى الدول المجاورة والصديقة لإيران والتي يهتم بها الشاعر. وفي أبيات من أشعاره يشير هراتي إلى تدخّل الدول العظمى أو كما يسميها هو «ابر گرازها» كروسيا[٣]. تدخّلات خلّفت وراءها أكثر من مليوني قتيل وعشرة ملايين مشرّد تقريباً:

جروح أفغانستان ينبغي/ شدّها برباط أحمر/ وإلّا فإن عيون الخنازير الوحشية/ تتطلّع إليها/ لنفرض السلم/ بين رؤوس الرماح والصلح/ وروسيها أربعة مرات حتى اليوم/ ارتكبت أخطاءاً في أفغانستان ... (المصدر نفسه: ٩١).

وبعد ها في نفس القصيدة، يلقي اللوم والعتاب على هيئة الأمم المتحدة بسبب دعمها للمجرمين والمعتدين الذين يزعمون وينادون بالسلم والأمان ويقفوا مكتوفي الأيدي أمام

كلّ ما يعانيه شعب لبنان من ظلم وجور وكلّ ما جادت به أنفسهم هو أن يسمحوا لهذا الشعب المضطهد بدفن قتلاه؛ وكلّ ما قدّموه لشعوب دول العالم الثالث هو صناعة التجميع وثقافة التجميع ليمهّدوا لهم سبل الجهل والخضوع والخنوع أكثر فأكثر:

جائزة السلام/ تمنحوها للدجال الأعور/ وترسلون بطاقات التهنئة لأمريكا/ أعان الله/ لبنان، منحوها الفرصة/ لدفن موتاها/ وصناعة التجميع/ وثقافتها/ منحوها للعالم الثالث/ للذكرى ... (المصدر نفسه).

وفي قصائد أخرى يذكر الشاعر كارثة هيروشيما وناكازاكي المهلكة. وفي أشعار تحت عنوان «زمستان قرن بيستم» يشير إلى تكوين شبح الرأسمالية في القرن العشرين والذي يظهر في كل عصر بثوبٍ جديد. فالشاعر في هذه القصيدة يصف هذا الشبح برؤية سريالية. وبعض الخصائص التي اختارها الشاعر لهذا الشبح، ك«مستنقع يُبسطُ على أكتاف الأرض» أو «شبح قبيح ومخيف تحرس مختلجات كيانه الخنازير الوحشية» أو «خنزير وحشي يحمل رمحين حادّين على الجباه» تحمل طابعاً سريالياً. ويرى الشاعر هذا الشبح متسكّع ثمل وتاءه أو لصّ متحضّر بقيت آثار أقدامه على أراضي المزارع كلّها. وآثار وجود هذا الشبح الذي يشبه مستودعاً من برادة الحديد والذرّة يمكن رؤيتها في «هيروشيما» و«ناكازاكي» ومن بعدها امتلأت الأشجار بالنمل الأبيض وأصبحت فراخ الطيور ناقصة ومشوّهة. ولعلّ الشاعر يستهدف بذلك الرأسمالية العملاقة التي أدّت إلى تشكيل بعض القوى العظمى في العالم لسحق الشعوب المستضعفة تحت أقدام العنف والقوّة:

شكل هندسي مُميت/ مستنقع بانَ على عاتق الأرض/ شبح أجوف مخيف/ ولكل جوف خنزير حارس/ طالعٌ من الجشع/ هدير ضحكة بشعة/ غصبت السماءَ شجرها وأنشودتها/ متسكّع ثملٌ وتاءه/ لصّ متحضّرٌ/ من ذرية آتاباي/ خنزير يحمل رمحين حادّين على الجبين/ شُوهدت آثار أقدامه على أراضي المزارع كلها/ مستودعٌ من برادة الحديد و الذرّة/ تساقط كالمطر مرّة في «ناكازاكي» وهيروشيما»/ ومن بعدها، الأشجار/ امتلئت بالنمل الأبيض/ وصارت فراخ الطيور تأتي إلى الدنيا ناقصة ومشوّهة ... (المصدر نفسه: ٢٢٦-٢٢٧).

٦.٢.٢ مدح الشهداء وذكراهم

وبلا ريب، أن أهمّ مبادئ الأدب المقاوم هو الاستشهاد والتضحية. ويبدو أن عنصر الشهادة في قصائد هراتي لا يضاهيه أي عنصر آخر من عناصر المقاومة. يهتم الشاعر في مواقع كثيرة بموضوع التضحية والشهادة ويسعى إلى نشر هذا الأدب. والإشارة إلى خلود ذكرى الشهداء ومواصلة طريقتهم ليس من معتقدات الشاعر فحسب، بل نابع من تعاليم الدين الإسلامي القويم، حيث يقول الله في محكم كتابه الكريم: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (آل عمران: ١٦٩) و كشاعر مسلم وملتزم، يعتقد هراتي أنّ الشهداء كنهر أحمر يجري إلى الأبد، وفي قصائد سمّاها «دستور» ويريد بها قواعد اللغة الفارسية، يتطرّق إلى بيان المبتدأ والخبر. فالمبتدأ في أمثلته هو الشهيد والخبر هو العبارة التي تخبر عن خلود الشهداء. ويبدو أنّ كون الشاعر معلّماً كان له التأثير الكبير على تشكيل هذه الظاهرة في قصائده، كاستخدامه لعناصر التعليم الأخرى كحصص الدرس والسبورة والطباشير في عدّة مناسبات. وإضافة إلى ذلك، يمكن أن تشير إلى اعتقاد الشاعر على ضرورة تعليم هذا الأدب للأجيال القادمة:

والمبتدأ/ جزء من الجملة نسمع عنه الخبر/ والخبر/ كهذه الجملة: «الشهيد/ نهر أحمر/ يجري إلى الأبد» (المصدر نفسه: ٣٥٨).

كما يعتقد الشاعر أنّ تشييع الشهيد لا يُنقص من عدد الشهداء بل سيلقي الله هذا النور في روح أناسٍ آخرين ليضلّ طريق الشهداء خالداً ومزدحماً دائماً:

ما أنا؟/ صفحة سوداء/ في كرّاسة الحياة الكبيرة/ معلّم الوجود/ بقعة كبيرة من نور/ رسمها في روحي/ و تزداد/ مع تشييع كلّ شهيد (المصدر نفسه: ٧٠).

وفي مقطع آخر من شعره يعتبر الشهيد ربيعا دائم الخضرة كالشمس الدافئة والحنينة دائماً التي ترسل بأشعتها وضياءها لكافة البشر:

الشهداء ربيع خالد/ كالشمس الدافئة الحنون/ و في كرّاسةالرسم/ تنثر ببسمةٍ/ آلاف الزهور (المصدر نفسه: ٣٩٤).

ذكرى الشهداء والشوق والحنين إليهم بسبب فقدهم هي مفاهيم أخرى تثير اهتمام الشاعر. فهو يعتبر ذكراهم مصدراً لشعوره بالأمان ومصدراً لبهجة قلبه وربيع روحه:

ويضيق الصدر شجناً/ ويزداد القلب حنيناً في هذه الأمسية للشهداء/ قبل قليل ضاق القلب كاللحد/ وكأنه الآن قد نُفخت فيه الحياة يُمناً بذكرى الشهداء/ .../ فدار القلب الليلة ربيع زاهر/ قد لبس الفؤاد ثياب الربيع الزاهية (المصدر نفسه: ١٥٠).

ولمواساة أمهات الشهداء مكانة خاصة في قصائد هراتي. وفي قصائده التي تدعى «هذه الحور»، يذكر الشاعر عناية الله الخاصة بهنّ ويواسيهنّ ويناشدهنّ ألّا يحزنّ على أولادهنّ:

يا أمهات الشهداء/ عند الحداد والشجى/ أياكن والحزن/ فهم الطلع/ والمطر/ هم/ الزنابق/ تضمّهميد الرحمن ... (المصدر نفسه: ١١٦).

ومع ما يتطرّق إليه من ذكرٍ لأمهات الشهداء، لم ينسَ الشاعر أبناء الشهداء. فهو يدعوهم بالبراعم الحمراء في قصائده التي تحمل عنوان «فردا» ويصوّر لهم غدٍ زاهر بالأمل تحطّم فيها أمواج البحار الثائرة مستنقع الجمود وستملأ صور شمس الشهداء جداران المساجد نوراً؛ وبعبارة أخرى، يوصف الشاعر لهم أيام النصر بعد الحرب، ولابدّ لهم أن يظفروا بالنصر وعندها سترفع صور الشهداء بكل شرف وعزّ على جدران المساجد:

على المنائر الخضراء/ نحن براعم الأمل الحمراء/ نحن النقاء والضياء كالغد المشرق/ نحن أبناء موطن الشمس/ فإن ثارت أمواج البحار في الغد/ على مستنقع الموت/ فهناك عند صورة الورد، الشمس/ ستملأ جدران المساجد (المصدر نفسه: ٣٨١).

٧.٢.٢ نماذج الجهاد

الإطراء والثناء لأنماط الجهاد، هو الوجه الآخر لعناصر المقاومة في قصائد هراتي، ونراه في مجالات كثيرة يذكر الإمام الخميني كأبرز مثالٍ للجهاد. وفي قصيدة «چشم تو» يُثني الشاعر على الإمام الخميني (ره) قائلاً:

كلامك أكثر عذوبة من الشعر النقي/ ورَوحُك ريحان كالماء العذب/ جبينك أنصع من البياض/ وعينيك أكثر ضياءاً من الشمس (المصدر نفسه: ١٦٩).

وفي أبياتٍ أخرى من قصائده يذكر بعض ميزات الإمام كالتضحية والمثابرة والإيمان، والتي باستعانتها استطاع الإطاحة بحكومة الشاه الطاغية في إيران:

مررت كماء النهر من تربة الأفكار الظمآنة/ وارتوى البستان من فيض أمطارك الخضراء/ منتصب القامة كالجبل تعانق الشمس/ من أين ترتوي غابات إيمانك الخضراء؟/ طلعت من أرضك وقت السحر تحمل الشمس/ من هتافك انقلب الليل في أفواه المستنقعات (المصدر نفسه: ٣٠٣).

وفي مقتطفات أخرى من قصائده، يصوّر هراتي ميرزا كوجكخان جنكلي كرمز للتحدّي والمقاومة. وبرأيه السرو الذي يُعتبرُ رمزاً للاستقامة والمقاومة، يقع على الأرض إجلالاً لميرزا. فالغابة بالنسبة للشاعر هي ذكرى تحدّيات ميرزا جنكل ومقاوماته. وبنظرة خيالية ناعمة ورقيقة، يربط الشاعر خصائص ميرزا القتالية كالفتوّة والشجاعة والشرف، يربطها بصفات الغابة. ويشير إلى أثر أقدامه اللامتناهية في الغابة ويريد به مسيرته الخالدة:

أرأيتَ السرو/ فالشموخ لازم لوجوده/ ولكني/ أعرف سروا ً في الغاب/ تبجّلا لاسمك/ انحنى إلى الأرض متواضعاً/ بقيت حيراناً بين الثناء عليك أو على الغاب/ فشرفك يضاهي الغاب روعة وجمالاً/ وأنت تضاهي جمال الغاب/ فتوّة/ إلى آخر الغابة/ اتّبعت أثرك/ انتهى الغاب/ و لم ينتهي أثرك ... (المصدر نفسه: ٤٧).

٨.٢.٢ تأنيب الضمير

«وعندما يرى الشاعر أحياناً شجاعة المقاتلين البواسل وبطولة أبناء وطنه، يَتّهم نفسه ويلومها ويحاكمها بشدّة» وهذا ما يدعى بـ «بتأنيب الضمير ومحاكمة النفس» (كريمي لاري، ١٣٨٩: ٣٤) وكأنّ الشاعر يلوم نفسه ويؤنّب ضميره بنفسه ليجد من يردّ على سؤاله هذا؛ لماذا لم يحالفه الحظّ في مرافقة أصحابه المقاتلين ولماذا تأخر عن قافلة السماء؟ وفي قصائد باسم «سبک بارتر از ابر» يرثي فيهاهراتي الشهداء الذين مضوا في سبيل الله ويؤنّب ضميره ويشعر بالأسى والحزن لتأخّره عن قافلة السماء:

يا فرسان ليالي الأحداث البواسل/ نظرتكم سامية كالشمس وأنتم في الآفاق أحراراً/ لم

أك ذاك اليوم عند رحيل هذه القافلة/ لم تكونوا معنا، أخبرونا أين أنتم/ بقينا و لم نمض، قعدنا وخسرنا/ مضينا وسمعنا أنكم شهداءاً في سبيل الله (المصدر نفسه: ٢٨٨-٢٨٩).

٣. النتائج

وتشير نتائج هذا البحث إلى النقاط التالية:

- أن عناصر المقاومة في قصائد سعدي يوسف هي: حبّ الوطن والتحدّي ومحاربة الطغيان والتعليق على وسائل الإعلام وقضية فلسطين والعولمة وذكرى الشهداء وثناءهم.
- وعناصر المقاومة في أشعار سلمان هراتي هي: حبّ الوطن والتحدّي والتعليق على وسائل الإعلام وقضية فلسطين والنزعة العالمية في المقاومة وذكرى الشهداء وثناءهم ونماذج الكفاح واتّهام الذات (تأنيب الضمير).
- وتشير نتائج هذا البحث أن أكثر عناصر المقاومة في قصائد الشاعرين هي عناصر مشتركة إلا تحدّي الطغيان حيث نجده في أشعار سعدي يوسف فقط دون الآخر، ويمكن تبرير ذلك نظراً للظروف السياسية التي عاشها العراق أيام حكومة البعث وحكومة صدام حسين الجائرة. في حين أن تعريف نمط المقاومة وتأنيب الضمير هما عنصران نجدهما في أشعار هراتي فقط. فظروف المجتمع الإيراني المضطربة في بداية عهد الثورة الإسلامية والأجواء الثورية المسيطرة على المجتمع يمكن أن تكون عوامل مساعدة لتشكيل مثل هذين العنصرين في قصائد هراتي.
- ومن الفوارق الأخرى التي نجدها في قصائد المقاومة للشاعرين هو ميل هراتي للواقعية الممزوجة بالرومانسية وميل يوسف للواقعية البحتة، بشكل يجعل الخيال الشعري عند هراتي يتّسم بقوّة أكبر وبيان أرقّ، في حين نجد أشعار سعدي يوسف أقل خيالاً وتلويناً. ومن مظاهر دوافع هراتي الأخرى للرومانسية، استخدامه الكثير لعناصر الطبيعة، لا سيّما البحر والغاب وهي ليست بعيدة عن بيئته التي عاش وترعرع فيها.

- ومن الفوارق الأخرى، ميل هراتي لاستخدام العناصر الدينية. وهو واضح جداً في قصائده المعروفة بالمقاومة بأنه ينظر إلى القضايا من زاوية الدين ويستخدم فيها الأذكار أو يشير إلى الشخصيات الدينية كالأئمة المعصومين (ع). في حين لا نجد مثل هذه النزعة في أشعار سعدي يوسف.
- وتجدر الإشارة أن من بين عناصر المقاومة المطروحة في قصائد هراتي، نجد أنّ عنصر ذكرى الشهداء والإطراء عليهم أوضح بكثير من المضامين الأخرى. في حين أنّ أبرز عناصر المقاومة في قصائد يوسف هي حبّ الوطن، ونظراً لنفي الشاعر من وطنه وبعده عنه، يبدو ذلك أمراً طبيعياً.
- ومن أهمّ تلك الفوارق أيضاً، رؤية هراتي الإيجابية للحرب، أو بتعبير أفضل «الدفاع المقدّس». فوصف جبهات القتال هي من مظاهر هذه الرؤية، و بما أنها كانت حرباً مفروضة على شعب إيران، يبدو ذلك أمراً طبيعياً بالنسبة لهم.

الهوامش

١. إشارة إلى الآية ١٤٣ من سورة البقرة: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ».

٢. جميله بوحيرد، من مواليد سنة ١٩٣٥م، وكانت إحدى روّاد النضال في جبهة التحرير الوطني الجزائري، وقد تمّ القبض عليها في إحدى الاشتباكات النضالية بعد إصابتها بجروح سنة ١٩٥٧م. وبعد أن عانت الكثير من التعذيب، حُكِمَ عليها بالإعدام. وبعد إعلان تنفيذ الحكم في ٧ مارس، ١٩٨٥م وطلب كثير من دول العالم، لا سيّما لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، تأجيل تنفيذ حكم الإعدام عليها، تمّ تغيير الحكم إلى السجن المؤبد. وبعد تحرير الجزائر، تحرّرت بوحيرد أيضاً من السجن و تزوّجت مع محاميها الفرنسي.

٣. الحرب السوفيتية في أفغانستان هو عبارة عن الاحتلال السوفيتي ونزاعه في أفغانستان لدعم جمهورية أفغانستان الشيوعية وضدّ قوات المجاهدين الأفغان والمتطوّعين من العرب

والأجانب. وبناءاً على أمر من ليونيد بريجنيف، قائد الفيلق الأربعين الروسي، اجتاحت روسيا أفغانستان، وأخيراً وفي عهد ميخائيل غورباتشوف،آخر زعيم للبلاد، بدأت روسيا بالانسحاب الذي بدأ من ۱۵ مايو، ۱۹۸۸م وآخر فرقة اسنحبت من أفغانستان، كان في ۱۵ مايو ۱۹۸۹م.

المصادر

القرآن الكريم.

اميري خراساني، احمد (۱۳۸۷). *نامه پايداری* (مجموعه مقالات)، طهران: بنياد حفظ آثار ونشر ارزش‌هاي دفاع مقدس.

بيدج، موسى (۱۳۸۹). *مقاومت در شعر عرب*، طهران: مؤسسة حفظ الآثار ونشر قيم الدفاع المقدّس.

بيگدلي، علي (۱۳٦۸). *تاريخ العراق السياسي والاقتصادي*، طهران: مؤسسة الإعلام والنشر التاريخي لتراث الأمم.

پارسادوست، منوچهر (۱۳٦۹). *نقش عراق در آغاز جنگ*، طهران: شركة سهامي للنشر.

سنگري، محمدرضا (۱۳۸۹). *ادبيات دفاع مقدس*، طهران: بنياد حفظ آثار و نشر ارزش‌هاي دفاع مقدس.

صحيفه فرهيختگان (۱۳۹۲). «سلمان شاعر كلمه بود»، *السبت*، ۲٦ أكتوبر، العدد ۱۲۲۷.

عثمان الصمادي، امتنان (۲۰۰۱م). *شعر سعدي يوسف*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

عز الدين، يوسف (۲۰۰۷م). *التجديد في الشعر العربي الحديث*، دمشق: دار المدي.

كاكايي، عبدالجبار (۱۳۸۰). *بررسی تطبيقي موضوعات پايداري در شعر ايران و جهان*، طهران: پاليزان.

كحلوش، فتحية (۲۰۰۸م). *بلاغة المكان (قراءة في مكانية النص الشعري)*، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

كريمي لاري، رضا (۱۳۸۹). «تحليل غزل‌هاي سلمان هراتي»، *مجلة رشد آموزش زبان و ادب فارسي*، العدد ۹٦.

كريمي لاري، رضا (۱۳۸۹). «جلوه‌هاي ادب پايداري در شعر سلمان هراتي»، *مجلة رشد آموزش زبان و ادب فارسي*، العدد ۹٦.

المحسن، فاطمه (۲۰۰۰م). *سعدي يوسف النبرة الخافتة في الشعر العربي الحديث*، دمشق: دارالمدي.

مكارمي‌نيا، علي (۱۳۸۳). *بررسي شعر دفاع مقدس*، طهران: ترفند.

هراتي، سلمان (۱۳۸۰). *مجموعه كامل اشعار سلمان هراتي*، طهران: مكتب أشعار الشباب.

يوسف، سعدي (۲۰۰۹م). *ديوان*، الجزء ۱ و ۲، بيروت: دار العودة.